

المراقبون الروس يتوقعون سيناريو مرعباً لكيف (رواندا) أوكرانيا... هدف واشنطن الأساس لحل مشاكلها مع موسكو



ترجمة وإعداد: ليلي زيدان عبد الخالق

لماذا تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية في الشؤون الأوكرانية، لا بل في الشؤون الروسية، وحتى في الشؤون الأوروبية؟ ألا يستطيع الأوروبيون ترتيب بيتهم بأنفسهم؟ هل من أطماع أميركية في أوروبا خصوصاً بعد ما أشيع عن الغاز والنقط وطريق الحرير الممتدة من الصين إلى أوراسيا؟

ربما تكون الإجابات على هذه الأسئلة سهلة، وبديهية. لكن من يتعمق أكثر في ثنايا الأزمة الأوكرانية، يجد ما لم يكن في الحسبان. خصوصاً عندما يتعلق الأمر بأكثر من بلايين الدولارات بكثير... نحن هنا نتحدث عن بلايات. كما إن التوق إلى تزعم الكرة الأرضية والانفراد في قرارها العالمي، يدفعان بواشنطن إلى اجتراح أي خطوة من شأنها تحقيق هذا الحلم.

في الملف الأوكراني كثير من التشعبات، وفي تقريرنا هذا المترجم عن مقال لروستيلاف أوشينكو¹، الكثير من الحقائق والافتراضات التي من شأنها أن تترسدا إلى السيناريو المرتب لأوكرانيا، ومن بعدها أوروبا. فهل تصعب أوكرانيا رواندا ثانية. وهل تستعر فيها الحرب الأهلية لتدوم وتدوم، وتحصد الأرواح في مجازر كتلك التي حصلت بين «التوتسي» و«الهوتو»؟ وما هو دور جورج سوروس -رجل الأعمال الملياردير- ذلك «المحسن» المسن الذي رعا كل الأنظمة الفاشية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي (من جورجيا ساكاشفيلي إلى أوكرانيا بوروشينكو)، ليكون الأكثر قدرة على تقييم الوضع في المالي للنظام في كيف؟ هل ستقف روسيا مكتوفة الأيدي إزاء ما يُرسم؟ وما هي احتمالات ربح روسيا وخسارة واشنطن، أو ربح واشنطن وخسارة روسيا؟ كيف ستكون الأوضاع عندما يكون السعي إلى الخسارة لا إلى الربح؟

قد نجد الإجابات على مجمل هذه الأسئلة وعلى أخرى في هذا التقرير، عسى أن نعي كيف يفكر «إباطرة» البيت الأبيض، فتتخذ القليل من الاحتياط... كواقية.

وكان الجحيم يلاحقهم

كتب روستيلاف أوشينكو: لا أنري من بالتحديد، أيكون تورشينوف؟ بوروشينكو؟ هو من أمر الجيش الأوكراني بنقض المعاهدة؟ غير أنني متأكد من أن هذا القرار كان قد اتخذ في واشنطن.

وليس من قبيل الصدفة، أن هذا الاستفزاز الانتحاري سبق زيارة جورج سوروس - رجل الأعمال الملياردير - إلى كيف. ذلك «المحسن» المسن الذي رعا كل الأنظمة الفاشية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي (من جورجيا ساكاشفيلي إلى أوكرانيا بوروشينكو)، وكان الأكثر قدرة على تقييم الوضع في المالي للنظام في كيف، وهو الذي قرّر ما إذا كان من المنطقي أن استمرار عذاب الحقق النقدية طويلة الأمد. وفي بيانه العام، الذي أعادت وسائل الإعلام طبعه قبل 14 كانون الثاني، لم يبق أي شك حول موت المرض وتعفن جثته وإنعاشه الذي كان عديم الجدوى. من المؤكد أن كيف كانت تترك لها لو بالحفر من أسفل الرميل، ولو أن أوروبا لعبت دورها بالشكل الصحيح، سيكون من الممكن تصحيح الأخطاء التي ارتكبتها الولايات المتحدة الأمريكية. فهم لن يتمكنوا من الانسحاب، لأن روسيا ستسيطر حينذاك على كيف، ما سيشكل هزيمة استراتيجية لواشنطن. لذا، فمن الأفضل أن يعمل على تدمير المكان، فيسيطر حينئذ الفائز على الخراب والدمار؛ هذا إذا لم يتمكنوا من توريثه في خراب أوكرانيا برمتها، فينزلق ويتشابك مع الجهة الأوكرانية المحتلة والمتعنتة.

لذا، فمن الأفضل، بالنسبة إلى روسيا، أن تكون روسياً مستقراً، فالنظام في كيف، قد يكون كافية لثلاث سنوات مقبلة. فقط على 7.5 بليون دولار خلال عام 2014، إذا، وفي مثل هذه الحالات، من غير الواقعي إيجاد 50 بليون دولار خلال سنة. فسوروس نفسه صرّح بأنه يتطلع إلى حدوث مجزرة.

مباشرة، بعد تصريح سوروس، قدم الاتحاد الأوروبي طلباً لا ليس فيه، حول ضرورة تمويل أوكرانيا، وذلك أمام وسائل الإعلام الأوروبية التي أكدت أن الأزمة الأوكرانية قد تغيرت بشكل كبير، أنه ما من معجزة يمكن لها أن تتحقق. وقد شهدت وسائل الإعلام الأوروبية (بما فيها التلفزيون الألماني)، وكذلك المنظمات الحكومية (بما في ذلك هيومان رايتس واتش)، شهدت فجأة هذا «الضوء»، ووجدت أن النظام في كيف متورط في حرب شرسة ضد المدنيين، وأنشأها للأعراف وقوانين الحرب. ولن يمر وقت طويل حتى تتأكد أوروبا من أن المجلس العسكري الفاشي في كيف قد اغرقها في مستنقع الإطاحة بدسورها الخاص، وفرض عقوبات اقتصادية على روسيا بهدف الضغط على الكرملين لتوريد الفحم والغاز للنظام النازي.

نجاح الدبلوماسية الروسية

لن تقدّم أوروبا المال، وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية (حتى لو رغبتا بذلك، فإن صندوق النقد الدولي لن يعامل لفترة ستة أشهر لتأمين الشرائح النقدية لتو الأخرى). وفي ظل هذه الظروف، ودعماً لسلطوية استقرار أوكرانيا، أثبتت السياسة المتبعة في واشنطن منذ نهاية الصيف الماضي، أنها عديمة الجدوى. وبالعودة إلى آب/أيلول 2014، فنرى أن السياسيين الأوكرانيين كانوا قد انقسموا إلى مجموعتين: الأكثرية - أولئك الجاهزين للإطاحة ببوروشينكو، متوقعين انضمام بعض المثقفين إليهم من الفريق الآخر، والأقلية المحايدة. فيوروشينكو نفسه لم يكن يمتلك مجموعات دعم أو قوى داعمة. فهو لا يزال رئيساً بفضل جهود الولايات المتحدة الأمريكية، التي حظرت الانقلاب في ذلك الوقت.

تدرك واشنطن تماماً سعي بوروشينكو إلى التفاوض مع موسكو حول التوصل إلى تسوية سلمية (لأن السلام وحده يقدم لبوروشينكو حماية لمنصبه الرئاسي وكذلك لحياته). أرادت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب، لكنها لم تكن ترغب الاحتفاظ ببنتو ألكسييفيتش الخائف والمضطرب على رأس الفريق. وفي الوقت عينه، نجحت الدبلوماسية الروسية في تضليل الأميركيين. فالسلام كان - ولا يزال - في مصلحة الروس، لأنه يدفع بالولايات المتحدة الأمريكية وبحلفائها الأوروبيين للبقاء على حياة النظام الأوكراني. فالانقلاب الأوكراني، الذي رعته الولايات المتحدة الأمريكية بهدف التذرع كيف لتكون سبباً داخلياً للعنانية مع روسيا والاتحاد الأوروبي، وكذلك، نقياً أسوداً يلتهم الموارد الروسية، لم ينجح في إتمام مهامه بعد سنة على الانقلاب. إذ تواصلت أوكرانيا اتهام الموارد الأمريكية على البديل من ذلك.



جورج سوروس



بوروشينكو



تورشينوف



ياتسينيوك

بين الريح والخسارة

وبما أن أوكرانيا هي واحدة من المسارح العالمية المتعددة التي تدور فيها حلبة الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، فإن تركيز الجهود في الموقع الأوكراني سيصبح غير ذي فائدة بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. فهم لن يتمكنوا من الانسحاب، لأن روسيا ستسيطر حينذاك على كيف، ما سيشكل هزيمة استراتيجية لواشنطن. لذا، فمن الأفضل أن يعمل على تدمير المكان، فيسيطر حينئذ الفائز على الخراب والدمار؛ هذا إذا لم يتمكنوا من توريثه في خراب أوكرانيا برمتها، فينزلق ويتشابك مع الجهة الأوكرانية المحتلة والمتعنتة.

لذا، فمن الأفضل، بالنسبة إلى روسيا، أن تكون روسياً مستقراً، فالنظام في كيف، قد يكون كافية لثلاث سنوات مقبلة. فقط على 7.5 بليون دولار خلال عام 2014، إذا، وفي مثل هذه الحالات، من غير الواقعي إيجاد 50 بليون دولار خلال سنة. فسوروس نفسه صرّح بأنه يتطلع إلى حدوث مجزرة.

مباشرة، بعد تصريح سوروس، قدم الاتحاد الأوروبي طلباً لا ليس فيه، حول ضرورة تمويل أوكرانيا، وذلك أمام وسائل الإعلام الأوروبية التي أكدت أن الأزمة الأوكرانية قد تغيرت بشكل كبير، أنه ما من معجزة يمكن لها أن تتحقق. وقد شهدت وسائل الإعلام الأوروبية (بما فيها التلفزيون الألماني)، وكذلك المنظمات الحكومية (بما في ذلك هيومان رايتس واتش)، شهدت فجأة هذا «الضوء»، ووجدت أن النظام في كيف متورط في حرب شرسة ضد المدنيين، وأنشأها للأعراف وقوانين الحرب. ولن يمر وقت طويل حتى تتأكد أوروبا من أن المجلس العسكري الفاشي في كيف قد اغرقها في مستنقع الإطاحة بدسورها الخاص، وفرض عقوبات اقتصادية على روسيا بهدف الضغط على الكرملين لتوريد الفحم والغاز للنظام النازي.

لكن، لكل شيء نهاية، عاجلاً أم آجلاً. فمع بداية أيلول، أصبح من الواضح أن واشنطن قادرة على دفع روسيا كما تشاء، غير أنها تبقى عاجزة عن إسقاطها، والحؤول دون سقوطها معاً. أخذين بالاعتبار مدى الحاجة إلى الحد من خطوط المواجهة السياسية وتركيز الموارد على المجالات ذات الأولوية المتبقية، ومغادرة الأرض المغقودة. ينبعث السؤال الأساسي من جديد، ما الذي ينبغي فعله مع أوكرانيا؟ فمَنْ أن أصبح واضحاً أن سوروس لن يتمكن من إيجاد تمويل كافٍ لكيف، فإن قدر البلاد، السياسيين، الشعب وحتى «الطبقة المبدعة»، والتعود على البقاء في ما من من المشغلات، قد أصبح من الماضي. فما هي الحرب الشرسة تعود لتبدأ من جديد. تدرك الولايات المتحدة الأمريكية جيداً كيف عزز الجيش الأوكراني قواته المصلح في

لكن، لكل شيء نهاية، عاجلاً أم آجلاً. فمع بداية أيلول، أصبح من الواضح أن واشنطن قادرة على دفع روسيا كما تشاء، غير أنها تبقى عاجزة عن إسقاطها، والحؤول دون سقوطها معاً. أخذين بالاعتبار مدى الحاجة إلى الحد من خطوط المواجهة السياسية وتركيز الموارد على المجالات ذات الأولوية المتبقية، ومغادرة الأرض المغقودة. ينبعث السؤال الأساسي من جديد، ما الذي ينبغي فعله مع أوكرانيا؟ فمَنْ أن أصبح واضحاً أن سوروس لن يتمكن من إيجاد تمويل كافٍ لكيف، فإن قدر البلاد، السياسيين، الشعب وحتى «الطبقة المبدعة»، والتعود على البقاء في ما من من المشغلات، قد أصبح من الماضي. فما هي الحرب الشرسة تعود لتبدأ من جديد. تدرك الولايات المتحدة الأمريكية جيداً كيف عزز الجيش الأوكراني قواته المصلح في



مقبرة جماعية عقب إحدى مجازر التوتسي

نظام الحكم. وبوروشينكو هو الضحية المثالية (خصوصاً أنه يُعتبر خائناً بالنسبة إلى الأميركيين)، لكن في مقابل وصول ياتسينيوك - معجزة الشباب - فإنني لا أرى أنه الشخص المناسب ليحل مكان بوروشينكو. فبعد تصفية أوكرانيا، سيتحول ياتسينيوك إلى شخص عديم الفائدة، لا بل خطر أيضاً، كونه يستطيع أن يشهد في المحكمة الدولية لأوكرانيا السابقة». هذا أن يخلق مناطق فارغة واسعة جداً بين الشمال والعاصمة كيف. إلى حد أن تسيطر الجماعات المسلحة المختلفة على الشوارع نفسها. إضافة إلى ذلك، وبينما تنتظم القوات المسلحة في الشمال في سلسلة قيادية موحدة، يستمر الجيش الأوكراني معانياً من مشكلة القيادات غير التنظيمية، والتي ستحوّل إلى حفنة من العصابات النازية ومجرمي قدامى الحرب.

وفي مثل هذه الحالة، فإن المقاتلين النازيين المتمركزين في المدن الكبرى في الجنوب الشرقي من البلاد بهدف السيطرة على السلطة في كيف، سيصبحون أكثر عدائية تجاه وسائل الإعلام. ومع ذلك، ومن أجل أن يُشَل المجتمع الجولي، وتحتل ردود الفعل اللحظية والناطقة، لتأتي الذريعة المبررة إعادة تكرار السيناريو الرواندي (مجازر متبادلة لا معنى لها) تفوق الصور، وتغير في الوقت عينه الوضع السياسي الراهن. وهذا يعني، أنه ليس كافياً فقط تنظيم الأعمال الإرهابية أو تلك السلسلة التي يقوم بها «انصار روسيا» نيابة عن الروس، ومثل هذا الاستفزاز قد يحزق المجتمع النازي لتوجيه جهوده في

لكن، لكل شيء نهاية، عاجلاً أم آجلاً. فمع بداية أيلول، أصبح من الواضح أن واشنطن قادرة على دفع روسيا كما تشاء، غير أنها تبقى عاجزة عن إسقاطها، والحؤول دون سقوطها معاً. أخذين بالاعتبار مدى الحاجة إلى الحد من خطوط المواجهة السياسية وتركيز الموارد على المجالات ذات الأولوية المتبقية، ومغادرة الأرض المغقودة. ينبعث السؤال الأساسي من جديد، ما الذي ينبغي فعله مع أوكرانيا؟ فمَنْ أن أصبح واضحاً أن سوروس لن يتمكن من إيجاد تمويل كافٍ لكيف، فإن قدر البلاد، السياسيين، الشعب وحتى «الطبقة المبدعة»، والتعود على البقاء في ما من من المشغلات، قد أصبح من الماضي. فما هي الحرب الشرسة تعود لتبدأ من جديد. تدرك الولايات المتحدة الأمريكية جيداً كيف عزز الجيش الأوكراني قواته المصلح في

لكن، لكل شيء نهاية، عاجلاً أم آجلاً. فمع بداية أيلول، أصبح من الواضح أن واشنطن قادرة على دفع روسيا كما تشاء، غير أنها تبقى عاجزة عن إسقاطها، والحؤول دون سقوطها معاً. أخذين بالاعتبار مدى الحاجة إلى الحد من خطوط المواجهة السياسية وتركيز الموارد على المجالات ذات الأولوية المتبقية، ومغادرة الأرض المغقودة. ينبعث السؤال الأساسي من جديد، ما الذي ينبغي فعله مع أوكرانيا؟ فمَنْ أن أصبح واضحاً أن سوروس لن يتمكن من إيجاد تمويل كافٍ لكيف، فإن قدر البلاد، السياسيين، الشعب وحتى «الطبقة المبدعة»، والتعود على البقاء في ما من من المشغلات، قد أصبح من الماضي. فما هي الحرب الشرسة تعود لتبدأ من جديد. تدرك الولايات المتحدة الأمريكية جيداً كيف عزز الجيش الأوكراني قواته المصلح في

لكن، لكل شيء نهاية، عاجلاً أم آجلاً. فمع بداية أيلول، أصبح من الواضح أن واشنطن قادرة على دفع روسيا كما تشاء، غير أنها تبقى عاجزة عن إسقاطها، والحؤول دون سقوطها معاً. أخذين بالاعتبار مدى الحاجة إلى الحد من خطوط المواجهة السياسية وتركيز الموارد على المجالات ذات الأولوية المتبقية، ومغادرة الأرض المغقودة. ينبعث السؤال الأساسي من جديد، ما الذي ينبغي فعله مع أوكرانيا؟ فمَنْ أن أصبح واضحاً أن سوروس لن يتمكن من إيجاد تمويل كافٍ لكيف، فإن قدر البلاد، السياسيين، الشعب وحتى «الطبقة المبدعة»، والتعود على البقاء في ما من من المشغلات، قد أصبح من الماضي. فما هي الحرب الشرسة تعود لتبدأ من جديد. تدرك الولايات المتحدة الأمريكية جيداً كيف عزز الجيش الأوكراني قواته المصلح في



من الاحتجاجات ضدّ المجازر المرتكبة في رواندا

الهائلة التي ستجتاح من الفيزانات التي ستسببها التفجيرات والتي ستقلها الكاميرات المعدة مسبقاً لهذا الغرض على أنها أشد هولا وضخامة من تسونامي تايلند. وسيسارع الخبراء إلى تقدير الضحايا بالملايين. وثانيها، فصل الضفة اليسرى لنهر دينبر - على الفور - عن الضفة اليمنى، حيث سيصبح السد وكافة الجسور في خراب. ولهذا، لن يكون في مقدور الميليشيات عبور دينبر من دون مساعدة الجيش الروسي. أما ثالثها، إذا كان من الممكن القضاء على النخبة السياسية وتدمير المنشآت التكنولوجية، خلال أربعة أو خمسة إلى عشرة أيام، واتهام روسيا و«DPR/LPR» بالمشاركة في هذه الجرائم، فإن المجتمع الدولي الموحد لن يتدخل فوراً لإحكام السيطرة على أوكرانيا. وسيمنع الغرب أي مشاركة روسياً باعتباره أن موسكو شريكة في الجريمة، حتى أن القوى الغربية بن تستطيع السيطرة على الوضع (حتى لو قررت الولايات المتحدة الأمريكية التعاون مع الاتحاد الأوروبي لتنفيذ ذلك من دون العودة إلى قرار من الأمم المتحدة)، فلن يكون متاحاً لهم القدرات العمالية المطلوبة ولا القوات العسكرية. أما السبب الرابع والأخير، فهو أنه بينما تحتاج الولايات المتحدة الأمريكية لكل ذلك، فحتى تورشينوف يستطيع أن يعمل كيف شرعياً وأن يقود فلور الحكومة، يمكن أيضاً الاستغناء عنها.

أما الأحداث التي ستلي ذلك فهي واضحة وضوح الشمس. سيعمد النازيون إلى الانتقام لـ«أخوتهم في الجيش». سينتشر المقاتلون على طول عرض البلاد، يتحققون من عناوين زملائهم النازيين في قواعد بيانات إدارات أمن الدولة ووزارة الداخلية. قوات الميليشيا ستكون قادرة على مد يد العون إلى خاروكوف، أحياء الضفة اليسرى في دينبر وبيتروفسك وزابورج، لفتح ممر بري إلى جزيرة القرم. لكن كل هذه الجسور لن تبني من دون مساعدة روسيا. وبطبيعة الحال، فإن المقاومة ستكون شرسة في أوديسا وحتى في كيف، لكن القوى غير متكافئة. ستحرم «الطبقة المبدعة» من العون العسكري الأوكراني، طبعاً، فالولايات المتحدة الأمريكية لم تعد بحاجة إليهم، سيكلفونها المزيد من الطعام والشراب، ولم ستقدم لهم هذا؟ لأنهم أوكرانيين؟ ومن الذي يريد الشعب الأوكراني من غير أوكرانيا؟ كل فريق من هذه الفرق لا يعرف الكثير عن نوايا الآخر ومخططاته، لكن لو نظرنا بموضوعية لوجدنا أن تركيب كل هذه القطع تعطينا مشهيدة كاملة حول الصورة الكاملة. سيقتل الأوكرانيون في منازلهم! حسناً، لا مانع من القيام بذلك «التوتسي» قتلوا «الهوتو»، «الهوتو» قتلوا «التوتسي»، إنهما اللحمة العنيفة الحزينة ذاتها تتكرر مع كل حرب أهلية.

إذا، دفع أوكرانيا في اتجاه صولمتها أو روانديتها، يجعل من الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على التقليل من أهمية الانتصارات الروسية، لتعطية آثار جرائمها بالدم، والأكبر أهمية، جعل مشاركتها في التسوية العقيلة غير ضرورية، إضا حتمية، بمعنى أنه لا مفر منها، وبالتالي، الحفاظ على مواقعها الاستراتيجية في القارة الأوروبية وإحكام سيطرتها على الاتحاد الأوروبي المُصاب بالذعر.

إن سببنازوا واحداً مستقراً من بين الاحتمالات التي عرضناها سيسمح لواشنطن بحل مشكلة حرق أوكرانيا. وفي الواقع، هناك المئات من السيناريوات المشابهة، جميعها حقيقية، وغالبيتها يعمل الأميركيين على تطويرها. وخلافاً لذلك، فإنهم يدفعون للقوات الأمنية، والعسكرية ووزارة الخارجية بلا أدنى فائدة. فالجرائم التي ارتكبت - إلى الآن - من قبل واشنطن وكيف يؤكد أن السيناريو المذكور أعلاه ليس شيئاً غير اعتيادي، بل على العكس، إنه منطقي جداً قياساً على الأحداث التي ستسبقة. ففي شباط 2014، سقط المئات من الضحايا في «الميدان». قُتل عشرات الآلاف من الأوكرانيين بهدف الضغط على روسيا. إذا، هل سيختلف عشرات الآلاف عن مئات الآلاف أو حتى الملايين؟ لن يختلف الأمر أبداً إلا في حال حاجة الولايات المتحدة الأمريكية إلى تنظيم النضحية البشرية الجماعية في أوكرانيا. إنها فعلاً لحاجة ملحة.

انتتان لا تزالان تستطيعان إقناع الشعب الأوكراني: القدرة التقليدية الأوكرانية غير القادرة على إمكانية بوتين التقليدية من أجل التوصل إلى طريقة لآلقة للخروج من الحالات الأكثر حرجاً واپاساً. لكن هذه التوقعات تتخطى نطاق التحليل العقلاني. إنها مسألة حظوظ.